

تفعيل الثورة المعلوماتية في المجال التربوي

مهدي تواتي

جامعة البليدة 2

ملخص:

إن التطورات الحاصلة في عصرنا الذي تكسوه ظاهرة العولمة عموماً والعولمة التربوية بشكل خاص تتطلب منا تغييرات ملحة في فلسفتنا التربوية ومناهجها، وهذا بحكم الدور الاستراتيجي الذي تلعبه التربية في عصر المعلومات كونها هي المشكلة وهي الحل في نفس الوقت، فهي مشكلة إذا لم نحسن استغلالها وتوظيفها حسب خصوصياتنا، وهي حلاً إذا أحسنّا استغلالها وتوظيفها إيجابياً في تنمية القيم التربوية لأبنائنا. فالخطر الذي يهدد حضارتنا بالزوال لا يكمن في العولمة بحد ذاتها وإنما يتمثل في النسق التربوي المفروض على أطفالنا والذي يوجههم ليكونوا مستهلكين لمواد العولمة بما يجعلهم مجرد سوق يجود بالربح السريع لصالح الشركات العالمية، من هذا المنطلق أردنا توضيح كيفية تفعيل وسائل العولمة في الجانب التربوي لأطفالنا. **الكلمات المفتاحية:** التفعيل، الثورة المعلوماتية، المجال التربوي.

Abstract:

The developments in our era, which are covered by the phenomenon of globalization in general and educational globalization in particular, require urgent changes in our educational philosophy and curricula. This is because of the strategic role played by education in the information age, which is the problem, which is the solution at the same time. It is a problem if we do not improve its exploitation and employment. Our privacy, which is a solution if we are better exploited and employed positively in the development of educational values for our children.

The danger that threatens our civilization to disappear does not lie in globalization itself, but rather in the educational pattern imposed on our children, which directs them to be consumers of the materials of globalization, which makes them a mere market for rapid profit for the benefit of international companies.

مقدمة:

شغل موضوع الثورة المعلوماتية أو العولمة حيزاً كبيراً لدى المهتمين والمتابعين لتطورات الأمور على الصعيد العالمي منذ بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي وحتى الآن، وما يزال هذا الموضوع يثير نقاشاً واسعاً وجدلاً حاداً في منطقتنا العربية وفي العالم على حدّ سواء، فاستحوذ على كتابات الأكاديميين ورجال الإعلام والرأي العام والتيارات السياسية والفكرية المختلفة.

ولا نعتقد أنفسنا مبالغين إذا قلنا إن هناك الآن على الصعيد العالمي نقاشات لا سابق لها عبر التاريخ الحديث، تحدثت عن هذا الموضوع وبمختلف اللغات، حيث عقدت مئات الندوات والمؤتمرات واللقاءات وكتبت المقالات والبحوث، ولا غرابة في ذلك، فمسألة العولمة لها العديد من الجوانب التي تثير اهتمام كل هؤلاء خاصة فيما يتعلق بانعكاساتها على الجانب التربوي.

فهناك انعكاسات إيجابية للعولمة في البعد التقني، لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال أثره العميق والإيجابي في العملية التربوية، وهناك على الجانب الآخر انعكاسات سلبية في البعد الثقافي والتربوي والسلوكي لا يمكن أيضاً تجاهل انعكاساته السلبية على العملية التربوية وتنشئة الأجيال.

ومن جهة أخرى يشير بعض المهتمين بظاهرة العولمة إلى أنها ليست جديدة، بل هي قديمة قدم التاريخ والحضارات الإنسانية، ففي كل مرحلة تاريخية هيمنت فيها أمة من الأمم على الأمم الأخرى وكان هناك مركز عالمي فاعل، وأن الحركات التي تجري في محيط هذا المركز أو في أطرافه، ليست مستقلة عما يجري في المركز الأساسي نفسه، فهناك دائماً علاقة تفاعل بينهما، ولا يمكن للتاريخ أن يفهم إلا إذا أخذنا بالاعتبار هذا التفاعل.

وانطلاقاً مما سبق؛ ومن خلال أهمية تناول موضوع العولمة في ميدان التربية، لما أخذ يشكله هذه البعد الحساس سنحاول في هذه المداخلة التركيز على فكرتين أساسيتين وهما:

ماهي أهم إيجابيات وسلبيات الثورة المعلوماتية في الجانب التربوي؟

كيفية توظيف هذه الثورة في الميدان التربوي في ظل حتمية ظاهرة العولمة؟

وللإجابة عن سؤالي البحث اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على جمع النصوص والمعلومات والبيانات ذات الصلة بالموضوع ثم القيام بتحليلها كطريقة "لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كميًا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها".¹

1- إشكالية البحث:

لا شك أن التربية والتعليم هما المخزون الاستراتيجي للحاق بركب الحضارة الإنسانية، وهما الأساس في بناء الفرد والمجتمع، وإلا لما كانت التربية قد حظيت بمكانة داخل كل دساتير الدول، والهدف من كل عملية تربوية هو تكوين هوية ثقافية سليمة الجذور والإعداد لبناء مجتمع متوازن ذا جذور حضارية، يتميز أفرادها بشخصية قوية وقادرة على مواجهة المستقبل.

والعالم اليوم يشهد ومنذ عدة عقود ظاهرة عالمية تدعى ثورة "العولمة"، والتي تسعى لدمج العالم وتوحيده ضمن فكرها وثقافتها وأنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتحمل في الوقت نفسه تحديا قويا للهوية والمنظومة القيمية بشكل عام.

وتشير الثورة المعلوماتية إلى اتساع المجال الذي تعمل فيه المعلومات ليشمل كافة مجالات النشاط الإنساني، حيث تحول إنتاج المعلومات إلى صناعة وأصبح لها سوق كبير لا يختلف كثيرا عن أسواق السلع والخدمات، وقد يزيد ما ينفق على إنتاج المعلومات على المستوى الدولي عما ينفق على الكثير من السلع الإستراتيجية المعروفة في العالم.²

وتجسد ظاهرة العولمة الهيمنة الإعلامية على الدول باعتمادها على تدفق إعلامي يستفز ويستثير حواس ومدارك الأفراد بما يلغي عقولهم ويجعل الصورة التي تحطم الحاجز اللغوي هي مفتاح الثقافة الغربية الجديدة الذي تستهدفه العولمة، الأمر الذي يدعو إلى دراسة هذه الظاهرة وتحليلها للاستفادة من إيجابياتها وتجنب سلبياتها على الفرد والمجتمع، وعليه فمشكلة البحث الحالي تتمثل في معرفة أثر ظاهرة "العولمة" في الميدان التربوي، وتسعى للإجابة عن السؤالين التاليين:

ماهي أهم إيجابيات وسلبيات الثورة المعلوماتية في الجانب التربوي؟

¹ أعمار بوحوش ومحمد محمود الذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص 139.

² فاروق أبو زيد: انهيار النظام الاجتماعي الدولي من السيطرة الثنائية إلى هيمنة القطب الواحد، مطابع أخبار اليوم، 1991، ص 103.

كيفية توظيف هذه الثورة في الميدان التربوي في ظل حتمية ظاهرة العولمة؟

2- إيجابيات وسلبيات العولمة:

لا شك في أن العملية التربوية تأثرت كثيرا بثورة الاتصالات والمعلومات التي أفرزتها ظاهرة العولمة وأحدثت عدة تغييرات سلبياً وإيجابياً في مناهجها وأساليب وبرامج تدريسها، وطلبتها ومعلميها، وطرائق تقويمها، وحتى في لغة تدريسها، ولا يمكن إنكار إسهام العولمة في تطوير المناهج التربوية، كما لا يمكن إغفال سلبياتها في الميدان التربوي.

2-1- الإيجابيات:

أفرزت ظاهرة العولمة عدة انعكاسات إيجابية لا يمكن تجاهلها في الميدان التربوي حيث تجلت هذه الانعكاسات فيما يلي:

2-1-1- تطوير الأساليب التربوية بإقحام وسائل الإعلام:

من أهم إيجابيات العولمة في المجال التربوي أنها وفرت المادة التربوية والثقيفية في وسائل الاعلام وهذا بتقديم برامج تتناول القضايا التربوية التي يحتاجها المربون، وتحتاجها الأسرة، وتحتاجها المدرسة، ويحتاجها المعلمون والمهتمون بشؤون التربية.

ويتجلى لنا هذا الأثر الإيجابي للعولمة في الشق التربوي من خلال ما تقدمه سلسلة قنوات النيل التلفزيونية التعليمية على سبيل المثال لا الحصر، "وهذا ما جعل من التلفزيون مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي وجزءاً من الثقافة الاجتماعية الحديثة ووسيلة هامة من وسائل الإشعاع الثقافي والاتصال في المجتمع".¹

2-1-2- توفير البرامج الآلية الحاسوبية:

وهذا من خلال برامج الحاسوب الآلية التي تتيح تصنيف المعلومات وجدولتها وتنظيمها، وإجراء العمليات الحسابية واستخدام الأنظمة الإحصائية والأشكال البيانية، كل هذا باستخدام أجهزة الحاسوب وتوظيفه في العملية التربوية، مما يوفر على الناشطين في المجال التربوي الكثير من الجهد والوقت مما يساهم في إضفاء نوع من الراحة في الأداء والإقتصادية في كل شيء من خلال استخدام هذه الأجهزة وتوظيفها في المجال التربوي.

¹Blandine kriegel, la violence a la télévision, rapport de la ministre de la culture et de la communication, France, 2002, p9.

2-1-3- الوسائط الإعلامية:

حيث أصبح بإمكان المعلم أو التلميذ استخدام مراجع علمية بأقل تكلفة نظرا للقُدرة الاستيعابية الضخمة لوحداث التخزين الالكترونية، التي بإمكانها احتواء مكتبات علمية من مجلدات وكتب ومجلات واستخدامها عن طريق الكمبيوتر دون الحاجة إلى شراء الكتب وتصنيفها في المنازل والتي قد تشغل مساحات كبيرة، وهذا من خلال توفير الحواسيب والأقراص المضغوطة، وأقراص السي دي (CD)، والذاكرات الموصولة مما يوفر على المعلم والتلميذ الجهد والمال والمساحة والوقت.

2-1-4- تطوير طرائق نشر المعلومات:

لا شك أن العولمة ساهمت أیما مساهمة في تطوير الطرائق المستخدمة في نشر المعلومات وحفظها والآليات التي تُيسر هذا النشر والحفظ (كالوسائط الإعلامية مثلا) وهذا بغية تطبيق التقنيات التي يقوم عليها ذلك كله في مختلف الميادين العلمية والتربوية والإدارية والصناعية والتجارية والاجتماعية وغيرها.

2-1-5- التقريب بين المجتمعات والدول:

وهذا من دون شك يُعد انعكاسا إيجابيا على الميدان التربوي من خلال إتاحة الإستفادة من خبرات الدول المتقدمة في المجال التربوي سواء من ناحية البرامج التعليمية أو من ناحية هيكلة وتنظيم المؤسسات التربوية، أو حتى من خلال المادة التربوية نفسها، وهذا طبعا لا يتم دون مراعاة خصوصيات كل مجتمع، بالإعتماد على الاستفادة الانتقائية من هذه الظاهرة وعدم إلغاء هذه الخصوصيات ولا تجاوزها.

فالعولمة تعتبر حركة تاريخية عالمية تهدف إلى دمج العالم وتقريب مجتمعاته ودولة وثقافته من بعضها، وهو اتجاه قديم قدم التاريخ وغير مرتبط بالتطور التكنولوجي، وهذا يساهم في تجسيد قيمة رائعة وهي الانفتاح وتقبل الآخر، والاستفادة منه في حال كان متقدما علينا في بعض الجوانب. فقد أصبح كل ما يحصل في بقعة - كما هو الحال في القرية الصغيرة - ينتشر خبرة في البقعة المجاورة، وكل ما يحدث في جزء يظهر أثره في الجزء الآخر.

2-1-6- تطوير المناهج التعليمية:

فعلى سبيل المثال شهد العالم تطورا مذهلا في المناهج الدراسية على المستوى العالمي فاليابان أصبحت قوة اقتصادية وعلمية في العالم، وشهدت مناهج العالم العربي حركة من التغيير والتطوير خاصة في الفترة بعد حرب 1973؛ على الرغم من أن هناك بعض السلبيات ولكن إذا كانت الإيجابيات أكثر فعلى أن ندعمها بهدف

تقليل السليبيات، وإذا نظرنا إلى المناهج في جنوب شرق آسيا مثل ماليزيا فقد بدأت حركة التطوير والتغيير من عام 1980 وبذلك أصبحت في مصاف الدول المتقدمة تكنولوجيا وعلميا.

ونجد كذلك أن منهج الرياضيات من المناهج التعليمية المتقدمة في دولة سنغافورة حيث يتم تدريس هذا المنهج بالولايات المتحدة الأمريكية اعترافا بكفاءته، ولكننا نرى أن حركة التطوير التي تمت في جنوب شرق آسيا والتي تزامنت مع حركة تطوير المناهج في البلاد العربية قد استهدفت حركة تطوير المناهج في جنوب شرق آسيا وتنمية انتماء المتعلم إلى بلده الأم والاهتمام بعلمائه ورموزه الوطنية والتاريخية.

2-1-8- تحسين إمكانية الحصول على التكنولوجيا:

نظرا لأهمية الخدمات في عصر العولمة، ولكي يكون هذا القطاع ناجعا لا بد عليه أن يقوم بتوصيل الخدمة في أقرب وقت وعلى أعلى مستوى من الخدمة، وعلى العموم فإن ظاهرة العولمة وفرت فرصا ومنافع بسبب تزايد درجة الانفتاح والاتصال الحديث، والتعرف على ثقافات مختلفة، وأنماط وأساليب حياة متعددة، فالعولمة أتاحت نقل التكنولوجيا الحديثة والمؤثرة إيجابيا على التنمية في البلدان النامية، وأهم ما تحقق في هذا التطور تمثل بربط وسائل الاعلام مع الوسائل الالكترونية الحديثة وخلق نظام اتصالي مبني على ترابط هذه الوسائل، الأمر الذي أطلق ثورة إعلامية ومعلوماتية أبرزت إمكانيات هائلة¹.

كل هذا بفضل إمكانيات تواصل عالية المستوى مع الجمهور، وسرعة غير مسبقة في إيصال الرسائل الاعلامية والمعلوماتية إلى أي مكان في العالم.²

2-1-9- تعزيز مكانة واندماج الدول النامية عالميا:

وهذا بفضل عالمية وسائل الإعلام، حيث يعرف إعلام العولمة بأنه سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة، لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدودا فضائية غير مرئية، ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية، لتقيم عالما من دون دولة ومن دون أمة ومن دون وطن، هو عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة، وشركات متعددة الجنسيات، يتسم مضمونه

¹نبيل دجاني: البعد الثقافي والاتصالي في ضوء النظام العالمي الجديد، المستقبل العربي، بيروت، العدد 224 تشرين الأول 1997، ص 59.

²عسان سلامة: نقد الفكرة العربية من موقع التمسك بها، المستقبل العربي، العدد 275 بيروت، كانون الثاني 2002 ص 19.

بالعالمية والتوحد على رغم تنوع وسائله التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان والمكان واللغة، لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء¹.

هذا العامل من دون شك يساعد الدول النامية في الاندماج في التكنولوجيا العالمية والتعريف بثقافتها والترويج لها إذا أحسنت استغلال مزايا العولمة، حيث يسعى إعلام العولمة إلى دمج وتقريب الثقافات الوطنية والعالمية بما يسمى حوار الحضارات.

2-2-السلبات:

2-2-1- الواقع المزيف:

من المفترض أن يكون دور المعلومات هو تنمية معارف الفرد وتطوير حياته، لكن ما يحدث حالياً ضمن هذه الظاهرة هو أن المعلوماتية أصبحت سوقاً تجارياً يهدف إلى بيع اللهو والرفاهية وبعض أشكال الفساد، ويؤدي إلى تزيف الواقع وجعل الوهم واقعا، وهذا ما يمكن تسميته بـ "الواقع الافتراضي". كما أنها تؤثر على الأجيال الناشئة وتجعلهم يعتمدون على أقوى طرق التأثير الفنية في الحركة والصوت والصورة، لدرجة أنها حولت أبطال الأفلام الأمريكية ولاعبي الكرة والتنس وعارضات الأزياء إلى رموز وأبطال للجيل الناشئ الذي اعتبر هذه المظاهر من رموز الحضارة والتطور.²

هذا الكم الهائل من المواد المعروضة يؤثر من دون شك في الأجيال الناشئة، ويساهم في إكسابهم وتعليمهم أخلاقا وقيما منحرفة.

2-2-2- الاستبداد المعلوماتي:

تعتبر المعلوماتية وسيلة لترسيخ الاستبداد والدكتاتورية ولكن على نحو شمولي وعالمي يقضي على أشكال التنوع والتعدد واستحالة المنافسة مع بقاء التنافس منحصرا في يد الأقلية من مالكي المال والمعلومات، حيث يتجه العالم إلى مزيد من السيطرة المطلقة للأقلية المستبدة التي تتحكم بمصادر المعلومات وإنتاجها وتسويقها.

¹ السيد أحمد مصطفى عمر: إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، المستقبل العربي، بيروت، لبنان، العدد 256، حزيران 2000 ص 76.

² مرتضى معاش: المعلوماتية: استباحة الفكر وتدمير الذات، مجلة النبأ، العدد 51، 2000، ص 4.

كما تعتبر المعلوماتية وسيلة بيد استعمار السوق للهيمنة على الثقافة وتصنيع الإيديولوجيا التي تسعى إلى تنميط العادات والثقافات وطرق العيش على نمط واحد، حيث أن مالكي المعلومات يتحكمون في نظام الأفكار التي ترسم سلوك الفرد وشخصيته.¹

قد يتخيل الكثير من الناس بأن الاستبداد المعلوماتي تتجلى أخطاره في محتويات وسائل العولمة كالتلفزيون والمحتوى الإلكتروني، لكن التأثير في المجال التربوي يعتبر أكثر خطورة، وهذا من خلال فرض البرامج التربوية والتعليمية على الدول المتخلفة وفق ما تقتضيه مصالح الدول الكبرى.

فمن أهداف إعلام العولمة استخدام القدرات التقنية الضخمة والمؤثرة لإضعاف نظم الإعلام الوطنية في الدول النامية وتعميق تبعيتها للمؤسسات الإعلامية الدولية الكبرى، تشتبك في ذلك المؤسسات الإخبارية والثقافية، التي كان من نتائج احتكارها الطويل لسوق المعلومات ومن ثم تقنياتها أن جرى تهميش وسائل الإعلام الوطنية وتحويلها إلى مجرد وسيط لنقل مضامين المؤسسات الإعلامية الكبرى إلى الجماهير المحلية.

2-2-3- الاغتراب والعزلة:

عندما يشعر الفرد بأنه يحصل على كل ما يريده دون أن يكون في إطار الاجتماع والتكافل مع الآخرين، يبدأ بالانعزال عن المجتمع تدريجياً، خصوصاً أن أدوات المعلوماتية تقدم له واقعا اجتماعيا فرديا يجتمع فيه إلكترونيا مع الآخرين دون تواصل إنساني حقيقي، وهذا ما يولد لديه الاغتراب عن الواقع الاجتماعي، خصوصاً عندما يبدأ بالتهرب من مسؤولياته في المجتمع، لأن هذا الواقع الجديد الذي خلقتة المعلوماتية أدى إلى إضعاف غريزة الميل نحو الآخرين والتواصل معهم، حيث يعيش المشاهد وهم الاقتراب الزماني والمكاني من العالم الخارجي وهو أمام الشاشة فقط، وهذا ما يترجم لديه العجز عن نقل الموقف الفردي إلى موقف جماعي فيصبح الترفيه ملاذاً يحرره من ثقل المشاكل والأحداث، وهروباً من الشعور بالعجز التام عن الفعل، وشعوراً بالفرح لعدم وقوع ما يراه من كوارث وأحداث عليه، وإنما على الآخرين.²

¹ هيربرت شيلر: المتلاعبون بالعقول تر: عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986، ص 240-242.

² مرتضى معاش، مرجع سابق، ص 10.

2-2-4- إنتاج وتوليد العنف:

إن تلاعب قنوات الاتصال المختلفة بالدوافع الغريزية البشرية و إثارتها وتحريكها يزيد من أرباح هذه القنوات، ويوما بعد يوم تقدم أطباقا جديدة من حركات العنف والعدوان، فتزيد شهية البشر للاعتداء على الآخرين وصناعة الحروب وتزايد الإجرام. وبالتالي فإن تنافس تجار المعلوماتية على الربح والمنفعة الشخصية يؤدي إلى زيادة التنافس على إنتاج الفساد والعنف والإباحية.¹

وهذه المعروضات تربي الأجيال على العنف والكراهية والحقد، فقد لاحظنا عدة جرائم قتل أبطالها أطفال المدارس نأسيا بأقاربهم من دول أخرى خاصة في أمريكا والدول الغربية عامة، وهذا بفضل العولمة التي حولت العالم إلى قرية صغيرة.

فما نسمعه أو نقرأه اليوم عن حوادث مريعة كسقوط بعض الأطفال من أماكن مرتفعة وهم يقلدون أبطال أفلام الكرتون والمسلسلات ذات المحتوى التاريخي الذي يجسد أحداث الحروب والصراعات ما هو إلا نموذجاً لسيطرة برامج هذه الوسائل على تفكير الأطفال ومشاعرهم، فلا يجدون مناصاً من تقليدها، والتلفزيون والانترنت كوسائل إعلامية عصرية يمكنها من خلال عرض هذه الأعمال أن تلعب دورا هاما في نشر الكثير من أنماط القيم والسلوك الإجتماعي.

2-2-5- فقدان النقد والتحليل:

مع زوال حاسة النقد، أصبح الفرد آلة تسيره أدوات المعلوماتية وتوجهه نحو سياستها واقتصادها، كما أصبح مجرد مستهلك لما ينتجه الآخرون، ويمكن أن نرى كيف سيطرت ثقافة التلفزيون على الناس وتحكمت في حياتهم بشكل مطلق، وفرضت عليهم أشكالا من التفكير والأكل والشرب والملابس وأساليب التربية، إذ أصبح التلفاز منبعاً أساسياً لمعرفة مبسطة يمتلكها المشاهد دون بذل جهد نقدي أو اهتمام بأبعاد الأحداث التي يشاهدها، فهو مجرد مشاهد للحدث ليس إلا، وقد ساهمت الثورة المعلوماتية أيضا في ظهور معايير ترفع من قيمة النفعية الفردية والأنانية والاتجاه الغرائزي المجرد من أي محتوى إنساني.²

¹ أحمد ثابت وآخرون: الأسرة المصرية وتحديات العولمة، كتب عربية، القاهرة، بدون سنة، ص66.

² مرتضى معاش، مرجع سابق، ص10.

2-2-6- المعلوماتية الرأسمالية:

لقد تحولت هذه الثورة الجديدة من أهدافها الحضارية إلى مجرد استثمار تجاري ومالي، حيث أنها كانت تسعى لتوسيع المعارف البشرية ورفع الجهل وإيصال المعلومات إلى أبعد الحدود، فأصبحت مشروعا تجاريا ينتفع منه الرأسماليون لتضخيم أرباحهم مهما كانت الوسائل والغايات، إذ تحولت المعلوماتية إلى اقتصاد عالمي قائم على الاستلاب والاستيلاء على ثروات الآخرين من خلال المضاربات والتحريف.¹

2-2-7- التخمّة المعرفية:

بعد أن كان الهدف الأسمى للمعلوماتية هو توسيع المعارف والتعليم الايجابي للإنسانية أصبح اليوم أقرب للتسلية والترفيه فالزيادة الكبيرة في حجم المعلومات والتدفق الهائل من المعلومات عبر شبكات الأنترنت بات يلاحقنا في ديارنا ومدارسنا وجل مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتربوية لأبنائنا الذين يتابعون منتجات العولمة ويجلسون طويلا أمام شبكات الأنترنت والفضائيات دون مراقبة أو متابعة، وهذا ما يدفعنا لتشخيص جوانب الأزمة التربوية وتوفير البدائل المناسبة للاستفادة من إيجابيات العولمة وتفادي سلبياتها على نظامنا التربوي.

2-2-8- العمل على تفكيك النظم التربوية:

باتت العولمة تضغط على النظم التربوية في العالم أجمع، والعالم الثالث بشكل خاص، ومحاولة تهميش هذه النظم وتفكيكها واستبدالها بالنظم الغربية، فأصبحت تهدد منظوماتنا بالاندثار والذوبان نتيجة عجزها وتخلفها عن اللحاق بها، لذا فإنه لا بديل لهذه النظم من زلزال المعلومات إلا من خلال ركوب موجه العولمة والاندماج فيها، فالتربية تواجه تحديات ومصاعب في أداء رسالتها إلا أن هذه التحديات والمصاعب أصبحت أكثر حدة وخطورة في هذا العصر حيث لم تعد التربية تتمثل في أداء الأسرة والمدرسة ومؤسسات المجتمع بل أصبحت تتم عبر وكالات التنشئة العالمية المتعددة والمتناقضة وتدفق المعلومات.

سيادة ثقافة الصورة يعمل على تهديد خصوصيات الشعوب التربوية والثقافية، ويضعف دور المؤسسات التربوية في صياغة الشخصية الوطنية وغرس الهوية، وقد أصبح من الضروري في عصرنا تسطير نظام تربوي وتعليمي فعال بإمكانه مواجهة التحديات والحفاظ على شخصية الأمة ومكانتها، وتعليم يطور قدرات الأفراد وينمي مهاراتهم ويزودهم بالمنهجية السليمة لتلقي المعلومات وتنظيمها وحسن استخدامها في التفكير والإنتاج.

¹ هربرت شيلر، مرجع سابق، ص 230-233.

وتأثير العولمة والمعلوماتية في العمل على توجيه نظمنا التربوية والتعليمية والتحكم فيها يظهر من خلال ما تواجهه معظم الحكومات من ضغوط نحو تقليص الإنفاق العمومي على قطاع التربية والتعليم وإيجاد مصادر أخرى لتمويله.

3- كيفية توظيف ثورة العولمة في المجال التربوي في ظل حتمية العولمة:

3-1- استغلال وسائل الإعلام وتعزيز وظائفها التربوية:

إن التغيرات المتوقعة في عصر ظاهرة العولمة عموماً والعولمة التربوية بشكل خاص تتطلب تغييرات في فلسفة التربية وسياساتها ومناهجها وأساليبها، وإن الوعي بدروس الماضي والدور الإستراتيجي الهام والخطر الذي تلعبه التربية في عصر المعلومات يزيد من قناعة التربويين وغيرهم بأن التربية هي المشكلة والحل في نفس الوقت، فهي مشكلة إذا لم نحسن استغلالها وهي حلاً إذا أحسنّا استغلال وتوظيف إيجابياتها في الميدان التربوي.

ولتوضيح هذه القضية لابد من الإجابة على السؤال التالي: إلى متى نبقي من المستهلكين لبرامج الاعلام ولا نتج إلى متى تكون هذه الوسائل حكرًا على دعاة الإثارة، والباحثين عن الشهرة؟ وإلى متى تظل هذه الوسائل تسهم في تسطيح ثقافة الأمة، وفي تهميش اهتماماتها؟

إن هذه الوسائل هي التي تتحكم اليوم في ثقافة الأمة وتصنع الرأي العام وتوجه الناس كباراً وصغاراً شئنا أم أبينا، ولا بد من أن نفكر بإيجابية في التعامل مع مثل هذه الوسائل والقنوات، ولا بد أن نعيد النظر في إحجامنا فيما سبق. فنحن إذن بين طريقين: طريق يمثل الظلام، وهو طريق مسدود يشجب العولمة، وطريق آخر يمثل العولمة، ويحاول الاستفادة من تجلياتها وإنجازاتها... فواجبنا إذن عدم الاقتصار على الهجوم والشجب بالنسبة للعولمة بل لابد من الاستفادة منها.¹ فالمشكلة تتجلى بوضوح في تسارع عصر المعلومات في مقابل التباطؤ في الذي تتسم به عملية المواكبة والتجديد التربوي عندنا.

فالخطر الذي نخشاه على حضارتنا على حضارتنا ليس من العولمة في حد ذاتها بل الخطر الحقيقي المهدد بنا يتمثل في النسق التربوي الذي لا يقدم لأطفالنا ولشبابنا إلا أجوبة عن كيف يكونون مستهلكين بامتياز لمواد العولمة ليكونوا بذلك مجرد سوق يوفر الربح السريع للشركات العالمية.

ولئن كان البعض يجدون مبرراً وعذراً لهم فيما سبق في تأخرهم عن المشاركة في هذه القنوات باعتبار أنها قنوات تنشر الفساد والهلوه، فالיום أصبحت مطلباً، وأصبحت المصالح التي ينتظر أن تتحقق من وراء هذا عزيمة، فهذه الوسائل هي القنوات والوسائل التي تخاطب الناس اليوم وليس المنبر أو السوق، وهذا لأن "متابعة ما يُعرض

¹ مجدي عزيز إبراهيم، التربية والعولمة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص 49.

عبر الشاشات بات أمرا لصيقا بالحياة اليومية لجميع الناس على اختلاف أعمارهم وأجناسهم وثقافتهم¹، فلا يمكننا أن نتصور الحياة في عصرنا من دون هذه الوسائل.

ثم إن وسائل الإعلام تملك من الجذب والإثارة والوسائل مالا تملكه الوسائل الأخرى وخاصة التلفزيون إذ "يعتبر التلفزيون وسيلة سهلة، حيث تصل الصورة والصوت من خلاله إلى الناس المشاهدين من دون جهد وعناء المتابعة في النظر والتحليل للمشاهد الصامت غير المتحرك، فالصوت والصورة تتيحان للمشاهد الراحة التامة في الإستماع والرؤية من دون إجهاد سمعي أو بصري"²، فهي جديرة في أن نعيد النظر في مدى تعاملنا معها، وأن يهتم المربون بتقديم مادة جادة وهادفة فيها.

3-2- إدخال العولمة ومضامينها في المناهج التعليمية:

وهذا لكي لا يعيش المعلم والطالب على حد سواء في حالة انفصام عن الواقع، دون إغفال للخصوصية المحلية بمراجعة خصوصية كل مجتمع أو كل قطر خلال إعدادنا للبرامج التعليمية التي نوظف العولمة فيها، ونحن نقول هذا كون المناهج التربوية العربية هي مناهج كلاسيكية وتقليدية رغم عمليات الإصلاح والتجديد الآني غير المعتمدة على رؤى مستقبلية، فاستغلال العلوم الإنسانية العالمية ليس عيبا إذا كانت تخدم التنمية المحلية في المجال التربوي لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، والعولمة وفرت لنا الكثير من المعارف والعلوم التي لا مناص من الاستفادة منها.

فالعلوم تراث إنساني مشترك بين سائر البشر يقوم على قواعد عامة لا تختلف في جزء من العالم عما هي عليه في جزء آخر منه. ففي ضوء ذلك ينبغي أن ننظر إليها ونطلبها، بل نحاول المشاركة الفعالة فيها وتوسيع نطاقها، غير متأففين من التعلم على أيدي الغربيين أو سواهم، ولا مترددين في أخذ الحكمة أنى وجدناها، فإن نأخذ عنهم اليوم فقد أخذوا عنا بالأمس وقد نعلمهم غدا بل ينبغي أن نفعل ذلك فلا نضل عيالا عليهم إلى الأبد.³

¹ خالد بن عبد الرحمن الشائع، القنوات الفضائية وأثارها العقدية والثقافية والاجتماعية والأمنية، دار بلنسية، د بلد، د سنة، ص33.

² زكريا عبد العزيز محمد، التلفزيون والقيم الاجتماعية للشباب والمراهقين، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2002، ص20.

³ الطيب مدثر عبد الرحيم: أزمة المجتمع العربي المعاصر (المسألة الحضارية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1961، ص65.

3-3- بناء مناهج تربوية محلية:

وهذا بالاعتماد على حاجات التلاميذ ورغباتهم، وتراعي خصائص نموهم الجسمي والعاطفي والعقلي، وتتفق مع ميولهم واتجاهاتهم، وليست رغبات المستشارين والمختصين يشارك فيها المعلمون وأولياء الأمور ومؤسسات المجتمع المدني من نقابات، وجمعيات، وهيئات علمية متخصصة، بحيث تراعي هذه المناهج ما يلي:

- مناهج تبنى على سياسة تعزيز الوحدة الوطنية والهوية الإسلامية والانتماء الحقيقي لقضايا الأمة.

- مناهج تحاول ربط المواد النظرية بالتطبيقية العملية في الحياة.

- مناهج تراعي الفروق الفردية وحاجات المتعلم وقدراته، وتنظر إليه كمورد بشري بحاجة إلى الرعاية والتطوير.

- مناهج توفر الحرية للمعلم لاستخدام الأساليب والوسائل التعليمية الحديثة لضمان تقديم تكوين تربوي نوعي.

فهذه البرامج يجب أن تراعي خصوصيات كل مجتمع، فلا يجب أن نصدق ببساطة أننا في قرية واحدة، دون مراعاة للخصوصيات المحلية "فهم يكذبون عندما يقولون إن وسائل الاتصال جعلت العالم قرية واحدة، صحيح أننا أمام ثورة كبيرة في عالم الاتصال، لكن هذه القرية الواحدة بيوتها ليست سواء، وسكانها ليسوا سواء؛ أي أن هذه القرية فيها الظالم والمظلوم، فيها القاتل والمقتول، فيها من يتدجج بأسلحة الدمار الشامل ومن يُنتزع سلاحه وتُنتزع أظافره."¹

3-4- التقييم الدوري للمناهج التعليمية:

وهذا من أجل معرفة مدى مواكبتها لروح العصر من خلال وضع مناهج تراعي الفروق الفردية، تنطلق من حاجات المتعلم وقدراته، وتنظر إليه باعتباره عقلاً وجسداً وروحاً بحاجة إلى الرعاية والتطوير، مناهج توفر مساحة من الحرية للمعلم لاستخدام الأساليب والوسائل والوسائط التعليمية الحديثة، وتبتعد عن التلقين، ليتمكن من تحقيق الأهداف التربوية المبتغاة، ولا ينبغي الاعتماد على البرامج الغربية التي تحاول توجيهنا وفق مصالحها فقد تمت مهاجمة العولمة في عقر دارها، وشهد شاهد من أهلها وقال: "حال العولمة اليوم سيئة، إنها سيئة بالنسبة إلى فقراء العالم، وسيئة بالنسبة إلى البيئة، وسيئة بالنسبة إلى استقرار الاقتصاد العالمي"²

¹ مبروك محمد إبراهيم: الدار القومية العربية، د بلد، د سنة، ص 101
² جوزيف ستيغليتز: خيبيات العولمة، ترجمة ميشيل كرم، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 255.

3-5- توفير البيئة التربوية الملائمة:

لاشك أن البيئة المدرسية الجيدة تفضي إلى تعليم جيد يمكن من خلاله تحقيق الأهداف التربوية المرصودة، ولكن تبقى الأوضاع الاقتصادية والإمكانات المادية للدولة هي الكفيلة بتحقيق بيئة مدرسية متكاملة العناصر من حيث ساحات النشاط والمرافق وسعة الغرف الصفية، إضافة إلى المكتبات والمختبرات وأجهزة الكمبيوتر ووسائل الإيضاح والترفيه.

ففي عصر العولمة يحاول كل مجتمع أن "يشكل القدوة التي تصلح له، في ضوء المصالح الخاصة به، وذلك عن طريق الأجهزة المتخصصة في التنشئة التربوية. كما يحاول كل مجتمع، أن يشكل النماذج البشرية المناسبة للمرحلة التاريخية والزمنية التي يمر بها المجتمع، كما قد يحاول أن يؤثر عن طريق وسائل التربية المختلفة، في تقديم العناصر الملائمة لكي يقتدي بها النشء والشباب وغيرهم، محققاً بذلك الفلسفة التي يسعى لإرسائها داخل هذا المجتمع"¹ فلكل مجتمع خصوصياته و"ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، ولا يمكن أن تكون، وإنما وجدت وتوجد وستوجد، ثقافات متعددة متنوعة، تعمل كل منها، بصورة تلقائية أو بتدخل إرادي من أهلها، على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة".²

3-6- الاهتمام بالمربين:

وهذا بالإعداد الجيد والمستمر للمعلمين من أجل التفاعل مع التكنولوجيا الحديثة وتقنياتها واستغلالهم لكم المعلومات الهائل المتدفق إليهم عبر الانترنت والفضائيات لرفع مستوى العملية التربوية. فنجاح هذه الرسالة مرهون بقدرة المعلم على غرس التربية الأخلاقية والثقافية والعلمية في نفوس الناشئة، وتنمية قدراتهم المعرفية والمهاراتية، الأمر الذي ينعكس أثره بشكل مباشر على المجتمع وعلى مكوناته المختلفة وصولاً لتطوره ولحاقه بركب الحضارة الإنسانية التي تعيش اليوم في عصر العولمة وإنتاجاتها المعرفية والتكنولوجية، والقيام عقد ورشات عمل مكثفة للمعلمين تمكينهم من استخدام الحاسوب وتوظيفه في العملية التربوية.

وهذا من أجل أن نكون معلماً عصرياً مسايراً لعصر تنفجر فيه المعرفة العلمية والتكنولوجية، وهذا ما تنشده التربية الحديثة، معلماً ذا بصيرة نافذة قادرة على التفاعل مع معطيات عصر العولمة والثورة المعلوماتية، خلافاً للتربية التقليدية التي ساهمت في إنتاج جيل عبارة عن بنوك معلومات متنقلة.

¹ مسعد عويس: القدوة في محيط النشء والشباب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1979، ص 62.

² جميلسيار: العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، د بلد، د سنة، ص 298.

من هنا تدعو الحاجة إلى إعادة النظر في البنى المعرفية والهياكل التربوية، لاسيما المعلم، لزيادة وعيه الثقافي واستعادة دوره الريادي في المجتمع، إضافة إلى قدرته على توظيف تقنيات عصر العولمة في حياته اليومية والعملية، وإعداده لعالم لم يعد كما كان من أجل إنتاج جيل مبدع مبتكر للمعرفة العلمية يحقق نقلة حضارية نوعية.

الخاتمة:

إن المؤسسات التعليمية والتربوية في هذا العصر المزدهر بتكنولوجيا المعلومات لا تقتصر على مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية كالأسرة والمؤسسات التربوية فحسب، وإنما تتعدها لتشمل كل المؤسسات الاجتماعية الأخرى كوسائل الإعلام والانترنت التي تضم مراكز ومواقع التعليم والتعلم عن بعد.

فالثورة المعلوماتية التي نعيشها أحدثت تحولات كبيرة في حياتنا بشكل عام، وفي مختلف طرق الأداء التربوي وعناصره الأساسية، وبات التدريس بالاعتماد على الحفظ وتلقين المعلومات للطالب أسلوب تجاوزه الزمن بعد أن كان السبيل الوحيد للوصول إلى المعرفة العلمية، حيث وفرت هذه الثورة أساليب جديدة تعين المعلم على تقديم مادة علمية منظمة بطريقة إبداعية وميسرة يتعلمها الطالب بسهولة بواسطة توظيف العديد من الحواس في العملية التعليمية، فبإمكان الطالب التفاعل مع الصور الثابتة والمتحركة التي تشرح له كيف تتم العملية الجراحية أو الميكانيكية مثلاً، والتي تحملاً لجديد باستمرار.

لا شك أنا لثورة المعلوماتية التي يشهدها العالم اليوم تمثل عنصراً حيوياً في رحلة التقدم والازدهار، وهو ما يحتم علينا أن نتعامل معها بحذر وتحفظ وفطنة وكفاءة في نفس الوقت، فالمعلومات تزداد يوماً بعد يوم وهي في تطور مستمر ومتواصل وهذا ما يجعلنا أحياناً كبشر لا نجد حتى الوقت الكافي للتعامل مع هذا الكم الهائل من المعلومات والنظريات والتطبيقات والإطلاع التام عليها لمواكبة السير الحضاري الحاصل في مجال التكنولوجيا المعلوماتية.

قائمة المراجع:

مراجع باللغة العربية:

- 1- عمار بوحوش ومُحمَّد محمود الذنيبات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.
- 2- فاروق أبو زيد: أختيار النظام الاجتماعي الدولي من السيطرة الثنائية الى هيمنة القطب الواحد، مطابع أخبار اليوم، 1991.
- 3- مرتضى معاش: المعلوماتية: استباحة الفكر وتدمير الذات، مجلة النبأ، العدد 51، 2000.
- 4- هيرت شيلر: المُتلاعبون بالعقول تر: عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986.
- 5- أحمد ثابت وآخرون: الأسرة المصرية وتحديات العولمة، كتب عربية، القاهرة، بدون سنة.
- 6- مجدي عزيز إبراهيم، التربية والعولمة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
- 7- خالد بن عبد الرحمن الشائع، القنوات الفضائية وآثارها العقيدية والثقافية والإجتماعية والأمنية، دار بلنسية، د بلد، د سنة.
- 8- زكريا عبد العزيز مُحمَّد، التلفزيون والقيم الإجتماعية للشباب والمراهقين، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2002.
- 9- الطيب مدثر عبد الرحيم: أزمة المجتمع العربي المعاصر (المسألة الحضارية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1961.
- 10- مبروك مُحمَّد إبراهيم: الدار القومية العربية، د بلد، د سنة.
- 11- جوزيف ستيغليتز: خيبيات العولمة، ترجمة ميشيل كرم، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 12- مسعد عويس: القدوة في محيط النشء والشباب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1979.
- 13- جميل سيار: العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، د بلد، د سنة.
- 14- نبيل دجاني: البعد الثقافي والاتصالي في ضوء النظام العالمي الجديد، المستقبل العربي، بيروت، لبنان، العدد 224 تشرين الأول 1997.
- 15- غسان سلامة: نقد الفكرة العربية من موقع التمسك بها، المستقبل العربي، العدد 275 بيروت، لبنان، كانون الثاني 2002.
- 16- السيد أحمد مصطفى عمر: إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، المستقبل العربي، بيروت، لبنان، العدد 256، حزيران 2000.

مراجع باللغة الفرنسية:

17- Blandine kriegel, la violence a la télévision, rapport de la ministre de la culture et de la communication, France, 2002.

sabahayachi@yahoo.fr/boumedfa_tahar@yahoo.fr